السرير الفارغ

تسنيم جاد / مصر

نظرت إلي السـرير الفارغ بجواري، لم أشـعر بشـيء حيال وفاتها، لم أكن أعرفها، ولم أهتم بمعرفتها رغم محاولاتها المستميتة في أن تغير من مظهري الجاد والحزين، حاولت كل شيء، قصت علي نشأتها وأحاديث عائلتها حينما كانت صـغيرة، لم تترك أي تفصـيلة من حياتها إلا وروتها لي، الدعابات، الذكريات والآلام، مرضها وبداياته، من صمد ومن ذهب، كل شيء، أظن بأنها لو كانت كتبت بمذكراتها لنست بعض الأشياء، ولم تكن لتجد العديد من الكلمات لتصف شعورها سواء من أحزان أو أفراح.

لم أعرف سر استماتتها ولم أسألها يوما سببه ولا زلت لا أهتم، ظل هذا شعوري لبضعة ساعات حتي أجهشـت فجأة في البكاء، لم أفهم، كيف لشـخص مبهج مثلها أن يموت وشـخص بغيض مثلي أن يبقى علي قيد الحياة، أخبرتني الكثير عن أحلامها، وماذا أرادت أن تصـبح، أسـماء أولادها بالمسـتقبل، وما الذي سـتفعله في سـن التقاعد، وفاتها أثارت حيرتي وحزني بالأخير، لقد ظننت بصـدق أن هؤلاء من يحلمون بفعل الكثير، من تألموا

بالماضـي بشـكل فظيع، من كانوا دائما يرسـمون البسـمة علي وجوه الجميع، هؤلاء الأشـخاص هدايا مرسلة من الله لعباده، ليتحملوا غيرهم، ليغيروا الكثير، ليغيروا شـخص بغيض مثلي ولو قليلا، هم بشـر ذو طابع ملائكي يجب أن يكتب لهم عمر طويل وإن لم يكن الخلود، بنهاية اليوم توقفت الدموع تماما وإن لم يتوقف حزن قلبي، ها أنا على سـرير لا أتحرك، لا أري أو أسـمع سـوي الممرضـات والأطباء يلقون علي أوامرهم بيأس وغضـب "حاولي فعل ذلك بإصـبعك، فلتحاولي بقوة أكبر" أو يلقون علي طلباتهم بنفاذ صبر وقليل من الجشع في بعض الأحيان" فلتقومي بإيداع هذا المبلغ" "رصيدك غير كافي لإجراء تلك العملية" "فلتقومي بتسوية الأمور مع الحسابات" نظرت إلي ملابسي وأدركت، أنني أصبحت جزء من ديكور المسـتشـفى الفاخر، ورائحتي رائحتها، لقد تكيفت تماما، فبعد كل شـيء عامان كفيلان بتغيير الكثير.

وأنا غارقة في حزني على نفسي، أفاقتني فتاة صغيرة وقامت بهزي، وقرأت لي رسالتها

الأولـــــــــــــــــــي والأخـــــــــــــــــــيـــــــــــــــــــرة.
"صديقتي العزيزة لستِ بشخص بغيض رغم محاولاتك المستميتة، لاحظت ابتساماتك ودموعك مع كل حرف كنت أرويه لكِ، وإن لم تكن ظاهرة بالعين المجردة، أنتِ فقط شـخص متشـائم قليلا، لذا فقد حملت علي عاتقي مهمة إيقاظ ذلك الشـخص الحالم والسـعيد الكامن بداخلك، فلتعلمي أن الحياة أو الموت هما وجهان لعملة واحدة لا الحياة سـتجعلك سـعيدة ولا الموت سـيجعلك حزينة، أنتِ هو أنتِ حية أو متوفاة، جميعنا نتحمل ما نحن عليه أموات أو أحياء، ولا أريدك أن تصـبحي على هذا الحال إلى أبد الآبدين، أؤمن بأنني

الآن بالجنة، ولا وجود للجحيم إلا لمن يسـتحقه وأشـك بشـدة أنكِ تسـتحقيه، الله أرحم بكثير مما تتخيلين" اليوم وبعد مرور الكثير من الوقت، من لا يعرفني يظنني هي، أصبحت أنا بنفسـي هدية مرسلة من الله، أو علي الأقل أحاول أن أكون.

أبعث البسمة على وجوه من حولي.. أقص قصتنا على الكثير والكثير من الأشخاص.. خلّدت ذكراها في قلوب من حولي.